الأديبة لين الأشعل (تونس)

قراءة نقدية في قصة قصيرة جدا للكاتب

الطيب جامعي

* النص:

أفقٌ

أُلقي بي في الجارية، هرعتُ أمسك بالدّفة.

نبذتني الأمواج باليمّ. أُحيط بي.

التقطني حوت...

إلى اليوم وأنا أسبحُ.

الطيب جامعي/تونس

==========

1- التصدير

نهى الله الرّسول محمد صلّ الله عليه وسلم أن يكون كصاحب الحوت في قلّة الصبر والهروب عند استعصاء الأمور بقوله تعالى:

"فاصبر لحكم ربك و لا تكن كصاحب الحوت" صدق الله العظيم.

==========

1-التقديم

بطل القصة هو أنموذج للشباب الذين يهربون من واقع مرير

و يرتمون في أحضان المجهول...ليكتشفوا واقعا أمرّ وأدهى من الذي تركوه خلفهم!

لا شك أنّ الكلمات المخفيّة وراء الكلمات المفاتيح في النص هي:

بطالة، غضب،ثورة، كرامة ،هروب، هجرة،نجاة أو عدمها!

فماهي العبرة التي أراد الكاتب أن يلقّنها لشباب بلدان العالم الثالث؟ و ما مدى نجاعة التناص بين القصة القرآنية لصاحب الحوت وقصة شباب الحوت(لو تصحّ التسمية) كي يوصل فكرته للمتلقي؟

==========

2-بناء النص

_ العنوان

(أفق) نقطة التقاء البحر مع السماء، والأفق له ميزة: لا ينتهي على مدى البصر ، والوصول إليه وهميّ أو مستحيل.

استعمل الكاتب لفظة واحدة نكرة ليُعنون نصّه وسنرى لاحقا أنّ معانيها مستمدّة من رحم النص.

** الفكرة العامة

تعالج القصة مسألة شائكة وشائعة في العديد من المجتمعات المضطهدة: الهجرة غير الشرعية أوما نسميه بلهجتنا التونسية(الحرقة).

شاب "حارق" زُجّ به في مغامرة اختراق الحدود خلسة

فخاض معركة مع البحر.

** الشخصيات

- شاب يأمل في مستقبل أفضل مما هو موجود في بلده

وهو الشخصية الرئيسية التي تقود مسار السرد محاولة قلب مسار الأحداث ب"مسك الدفة."

- الأيادي الخفية التي تحرك الأحداث من خلف الستار.

** التّناص

يفتح النص بتناص لسورة الحاقة(آية 11).

ت(آية142).

ونلمس في هذه السور القرآنية فكرة #النجاة من الموت أو قل الصراع مع الموت. وجميعها دروس في الحياة.

بطل قصتنا تُراه سيجد سبيلا للنجاة كما سيدنا نوح وسيدنا يونس عليهما السلام؟ ام تراه سيهلك في عباب البحر؟

وما هو مدى نجاح التناص في ايصال الفكرة المطروحة إلى المتلقي؟

** السّردية:

_ الوسائل اللغوية والرموز:

- لكي يضع القاص النص في إطاره، استعمل حقلا معنويا لتحديد مكان الأحداث(أفق/الجارية/الدفة/أمواج/اليم/حوت).
- رمزية "الجارية:"

هي السفينة التي صنعها سيدنا نوح ونجا هو و من ركب معه فيها ...فكانت نجاة المؤمنين و اغراق الكافرين عبرة لمن يعتبر. فهل سيعتبر الشباب؟

- الأفعال: وقع تصريفها في الماضي ما عدا الفعل ألأخير صرف في المضارع المرفوع لغاية سنتعرض لها آنفا.(

في هذا النص خمسة أفعال قادت مسار السرد منها فعلان مبنيان للمجهول(ألقي بي/ أحيط بي). فالمتكلم ليس بالفاعل، حتى الأفعال المصرّفة في المعلوم يكون هو(المتكلم) المفعول به لا فقط نحويا، بل في الواقع فعندما يقول (أحيط بي) فالمخاوف والأخطار أحاطت به. و في قوله (ألقي بي) نستشفّ فكرة أنه مكره منذ البداية على ركوب الجارية

أو أنه غير مقتنع تماما بفكرة "الحرقة" وبينما هو متردّد ألقي به و بمن معه من المهاجرين في السّفينة كحشد من الأغنام. شباب، نساء، أطفال تاركين وراءهم كل شيء (اثر حرب او ثورة فاشلة...) هاربين من إفلاس بلادهم التي سقطت بين أيادي حكام جشعين

ينهبون الخيرات دون الإلتفات لمستقبل الشباب المهمش الذي سكنت في رأسه فكرة المغادرة والتّطلع الى "أفق" جديد...

و الأفعال المبنية للمجهول تدلنا على أن هنالك أيادٍ خفية تنظم هكذا رحلات غير شرعية وقد تكاثرت شبكات تسفير الشباب خلسة اِثر الثورات التي لم تعطِ بعد أكلها وهي شبكات متوغلة في مجتمعاتنا ، توغّلت وتغوّلت بكسب المال الوفير على حساب شعور البشر: ذلّ و غربةّ يشعر به الشاب "الحارق"، دموع أمّهاتّ ، صرخات مؤلمة أطلقها آباء فقدوا فلذات أكبادهم في أعماق البحار، قدّموها هؤلاء المتهوّرون الجشعون هدية للحوت.

و فعل" نبذ" يحمل فكرة التخلّي عن الشيء(نبذتني الأمواج).

و ما الأمواج إلاّ كناية عن القوة المحرِّكة المنظمة لرحلات التّهجير الغير شرعية وفي عباب البحر تخلت عنه تلك الأيادي وألقت به في اليمّ عندما وقعت عليه القرعة كما وقعت على ذي النّون، سيدنا يونس عندما استوجب الأمر إخلاء السفينة من و احد من الركاب.

اذا حسب صيغة الأفعال المذكورة أعلاه فإن الشاب مجني عليه

ما عدى فعل "هرَعْتُ" : و هو الحركة الوحيدة التي قام بها البطل بمحض إرادته ، هرع يمسك بالدفة(مكان القيادة).

الفعل يصف المشية : بها اضطراب وسرعة يليها مسك الدفة بقوة لما تحركت السفينة متجهة " للأفق" تمكّن الهولُ من هذا الشاب فأمسك بشدة المحرّك كأنه يريد تغيير مسار السفينة والعودة بها الى الوراء وهذا دليل على أنه غير مقتنع تماما بهذه الرحلة المرعبة الخطرة وقد نجح الكاتب البارع في وصف شعور الهلع الذي تمكن من الشخصية الرئيسية وحالته النفسية الهشّة بمشهد مسك الدفة، مشهدية دقيقة تدل على حرفية القاص المتمكن من أدواته.

- القفلة

نأتي الآن الى فعل ختم به الكاتب قصتهَ" أسبحُ "

هو الفعل الذي جعل منها قفلة مدهشة.

هو الفعل الوحيد الذي صرّف في المضارع، و هذا يدل على ديمومة الفعل.
والعبارة الزمنية (الى الآن وأنا..) تأكد استمرارية الفعل.
نهاية غير منتظرة، فعادة ما تكون نهاية الشباب الذين يتخطون الحدود بطريقة غير قانونية، الموت
غير أن بطل القصة بقي معلقا بيت الحياة والموت فهو لم يبلغ الأفق.

** المفارقة

في هذا النص المفارقة تكمن في لفظة #أفق التي نعود اليها في آخر النص عبر الايحاء هنا يقلب الكاتب النهاية على بدئها:
كما قلنا سالفا، الأفق (بالمعنى الحسي)هو مدى مفتوح لا متناهٍ...على عكس أفق الشباب(بالمعنى المعنوي) فهو أفق مسدود. في مجتمعاتنا يبقى الشباب يسبح في أحلامه دون تحقيق هدف الوصول إلى الضفة المقابلة.

** الخاتمة

اِستُخدم التناص بطريقة ذكية ليستدرج المتلقي عبر أحداث النص إلى الفكرة المقصودة: "و عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم"
فليكن هذا الشاب، بطل القصة عبرة لمن يعتبر مثله مثل صاحب الحوت الذي لم يكن من الصابرين على قومه و ضربه الله مثلا للمؤمنين علّهم يصبرون على واقعهم.
هذا النصّ عبارة عن درس في الأخلاق بامتياز. وقد أفلح
كاتبه في ايصال فكرة التّحلي بالصبر من خلال أحداث صيغت بطريقة مكثفة وبسرد مرن و عبارات بسيطة،
فليس البسيط دائما سطحيا ، بكل بساطته عالج هذا النص فكرة عميقة، لذا يمكن أن نسميه بالسهل الممتنع.
ويبقى السؤال :

هل بإمكاننا اقناع شباب عاطل عن العمل وجائع بعدم المجازفة لإيجاد حلّ لوضعيته المزرية؟ وهل سينصت للنّصح أساسا وبطنه خاوية؟